خواطر في النقد

صديقي ابن عباد

أحسنت والله اذ عزمت أن تاخذ بيدك معول الهدم وتقصد هذه الصور البالية الجامدة من حياتنا التي توالي سباتها وهي تزعم تفكيرنا وأدبنا وتشاء ان تحصر الحياة الواسعة في دائرتها الضيقة المتلاشية .

فطريقة النقد التي أخذت اليوم بأسبابها وتفكر في الاتجاه اليها هي الوسيلة الوحيدة لكي نمهد للمستقبل نوعاً من الانتاج الصحيح فيسري في عروق حياتنا الادبية دبيب النشاط ودبيب الفتوّة والتذوق للجمال في أعمق وأبسط صورة .

فهؤلاء المنتجون يخيّلون الي كانما هم جثث تتحرّك وتسير ، وهي تغط في نومها لا تشعر بقيمة لوجودها ولا تسعى الى غاية اسمى مما هي فيه .

ولا ريب أن عملك هذا سيكون — وهو الأول من نوعه في حياتنا الفكرية — صدمة لكثير ممن يحرص أن يخفي نفسه بين طيات تلك الصور البالية ، ويجتنب كلّ أسباب العنف والقوّة اللذين تدعونا اليها الحياة اذا أردنا ان نكون معبرين عن تياراتها وتطوراتها ، تلك التيارات والتطورات التي كانت ببلادنا الى الامس القريب واهية متلاشية ، أما اليوم فقد أصبحت هائجة صاخبة تعمل وراءها قوّة شابة وروح فياضة بالايمان والآمال ، وتشاء أن تكتسح كل مظهر من مظاهر الحياة لا يوافق العصر وما يضطرم به من قوّة وانفعال .

فادباؤنا وقفوا بينما الحياة تقدّمت خطوات فاستحال وقوفهم الى جمود بل الى نوم وتلاش ، وخير لهم أن يفسحوا المجال أمام عقولهم ويدركوا هاته الحياة التي نشاء اليوم أن نخترقها ونعبر عنها ونأمل في الحصول على غاية سامية منها كما أرجو أن يفهموا جيّداً أننا في دعوتنا الادبية لا نرغب في الجديد لأنه جديد ولا نزيف القديم لانه قديم بل لا نتطلّع ولا ننشد الا أن نمثل الحياة خير تمثيل في انتاج ادباء المغرب فلينشد الجميع هذه الامنية وأنا الكفيل لك — يا صديقي — أنه لايبقى هناك نزاع ولا خصام ، على أنه من المفيد لحياتنا الادبية ولنضوجها أن يطول هذا النزاع ويحمى وطيسه بين فريقين يختصمان أشدّ الخصام في حدود الدفاع عن المبدا والفكرة الطليقة لا التعرض لشخصيات فان ذلك مما يدعو كل فريق أن يطيل النزاع في مسائل لا تفيد حياتنا الادبية بل تضرّها حيث تعطي صورة عنها مشوّهة لا تناسب جلال الادب ولا قدسية الجمال .

وهنا أريد أن اسألك سؤالا : هل تحاول أن تنقد شاعرية الشاعر أم قصيدة من قصائده ؟ فالذي يظهر لي بعد أن قرأت مقالتيك انك تكتفي بقصيدة للشاعر فتستعرضها أمام القراء بما حوت من ابتذال واذا بك في ختام النقد لا تطلب من ذلك الشاعر أن يريحنا من منظوماته وهذا ضرب من الايجاز يخل بالمعنى التي تضمنتها كلمة النقد الواسعة اذ ليس من الضروري المحتم أن يجيد الشاعر في كل قصيدة يقولها ، ولعلك ان جلت بالشعر العربي من العصر الجاهلي الى اليوم لا تجد هذا الشاعر الذي يجيد في كل بيت يقوله ويبلغ الذروة العليا في كل قصيدة من قصائده فليست تلك الاجادة الشاملة بالعنصر واللازم لنبوغ الشاعر واعتراف الناقدين له بالشاعرية الفياضة .

فلكي نحكم على الشاعر يجب أن نعتبر ان كل قصائده امامنا ونحن نود أن نكوّن عنها فكرة باخذ الشاعر بها مستواه بين الادباء فمن مقاييس النقد التي كانت تعتبر صحيحة في الماضي أن هناك شعراء اعترفوا لهم بالشاعرية لقصيدة أو قصيدتين أجادوا فيها ولا زال اسمهم يردد بين نبغاء الشعراء .

واذا نحن طلبنا من الشاعر اجادة شاملة في كل ما يحاول أن يتلفظ به من الشعر فقد سعينا أن نصوّر أمامه الحياة بشكل يعطى ولا باخذ أي ان فيها دوام استفزاز العاطفة وايقاظ الشاعرية لا تخمدان ولا تقفان أمام مدلهمات وخطوب الحياة واجتين جامدتين وليس ذلك بالممكن ، ثم لو ضربنا صفحاً عما تقدّمه الحياة أمام الشاعر من ألوان وصور تارة تهيج وطوراً تصطدم الاحساس والمشاعر لو ضربنا صفحاً عن ذلك واتجهنا الى تفهم هذا الوسط المغربي في العهد الاخير وكيف تقاس فيه الحياة وكيف تعتبر الاعمال الروحية لرأينا كل شيء يغاير الاحساس والشعور ويتناقض مع الوجدان والعاطفة

الساهية فقد مرت على وسطنا هذه السنوات الاخيرة شبه نوية رجعية لا يتقدم شيء خطوة الا ليرجع عشرات من الخطوات وكل مظاهر حياتنا يسير بصورة آلية لا أثر للروح في حركاتها ولا ينبعث تطورها وسيرها عن احساس مطلقاً بل لقد رأينا فتوراً في كل شيء وتهاوناً من كل شخص كأنما الحياة هي أن نعيش ليتحرك لسانك واسنانك بطرف من الخبز وكل شيء عدا هذا يخشى ويعد فضولا فاذا ما فزع الشباب من هذا المظهر المخيف وأسرع الى صفحات الماضي وتراث الاجداد يسائلها في دهشة ترى هل الحياة المغربية الماضية كانت صورة من هذه الحياة المرعبة التي يعيشها آباؤنا وهم بين موت الروح وحركة الجسم فلا ريب أنه سيجد في طيات الماضي ما لم يجده بين هذه الشخصيات المتداعية الى الفناء والموت وبين هذه الصور من الحياة الجامدة المكبوتة سيجد الشاب في ماضي وطنه حيوية في التفكير والانتاج الادبي أينما للعصر الحاضر حيث كل شيء ذابل وكل يخيل الينا يسير الى الموت .

هكذا أتخيل عصرنا الحاضر لو أحببت أن اصوره تصويراً مجرداً عن كل اعتبار وعصر كهذا العصر لا ينبغ فيه الشاعر الا نبوغ محاكاة وتصفيف كلمات وهذه النقطة يجب أن لا نغفلها اذا أردنا أن أن ننقد شعراءنا ونحلل مميزات شاعريتهم اذ أن للوسط تأثيره في الشاعر فكما أن العصر الذهبي يؤثر ايجابياً كذلك عصر الانحطاط ـ كعصرنا هذا ـ يؤثر سلبياً فمن العسير وشعراؤنا يعيشون في هذا العصر أن تاخذ قصيدة من قصائدهم يعلم الله الدافع لهم على نظمها فتناقشهم فيها وتجادلهم ثم تحكم حكمك الصارم فالانصاف بل النقد الصحيح يرغمنا أن نتابع شعر الشاعر الذي فاضت به نفسه في ساعة اختلسها من الزمان اختلاسا ، لهذا فاعتقد أنك تباعدت عن طريقة النقد المنتج وأنت تود أن تصور شاعرية الشاعر من قصيدة أو قصيدتين فليس عصرنا بالعصر الذهبي الذي تتفتق فيه المواهب وتفيض فيه الشاعرية الى درجة أن قصيدة واحدة كفيلة بان تقدم صورة واضحة جلية عن الشاعر ومقدار اتصال نفسه ومشاعره بما في الحياة من صور الجمال وألوان الانفعالات .

ثم أن كلمة النقد في معنى البحث الحديث والمدرسة الجديدة والأصل اللغوي ترمي الى معنى خاص عن المعنى المتواتر في وسطنا وهو اظهار المساوي أو ربما التحامل الغير المناسب بل معناه الأصلي والمعنى الذي يسود اليوم مدرسة النقاد الحديثين هو تلك المعنى التي تنزع بك أن تحلل الشاعر وتدرس آثاره وما يحوى من مزايا وابتذال وتعلل ذلك تعليلا يتصور منه المؤثرات التي ساعدت المنتج النابغة أو الغير النابغة على أن يقدم لنا انتاجه فنتفهم هذه الروح التي سادت عصره وتمخضت عنه حوادث زمانه وانقلاباته .

هكذا أرى أن يقدم النقد الحديث لشيوخ الأدب الاجلة ببلادنا ولهذه الفكرة ينبغي أن نسعى ونهدّ عروشاً من المجد على أركان الوهم بنيت فتنتصر فكرتنا وتسود وسطنا في قليل من الزمان ففي بلادنا ومجتمعنا استعداد لكل شيء من التجديد وخلع هذه الاثواب الثقيلة التي حملنا أياها عصر الانحطاط .

فلتسر ياصديقي ابن عباد في طريقك المنتج لحياتنا الفكرية مهما تحملت االيوم من صدمات ومهما خيل لوسطنا الحاضر أنك قاس في لذعاتك البريئة العذبة .

فلنسر دون أن نلتفت الى الوراء فالمستقبل لنا .

سعيد حجي

نعرف صاحب المقال الاخ الكاتب النبيل من أشدّ الناس تقديراً واجلالا للطائفة التي يشير اليها من الشعراء الموقرين الذين هم زينة البلاد علماً وأدباً وحكمة ، خلافاً لما يتبادر الى الذهن من بعض عبارات في مقاله مغتفرة في باب النقد ، ونذكر أن ابن عباد لا يقصد جماعة دون أخرى وسيتناول نقده الشيوخ والشبان والقديم والحديث وكتاب المغرب والجزائر وتونس ، ولكل مزاياه ولكل فضل على اللغة والثقافة ولكل مواطن تحتاج الى الاصلاح .

وبلغنا من مراكش ـ مؤخراً ـ رد على نقد مساعدنا ابن عباد بشأن الاخ الشاعر المطبوع وسننشره في العدد المقبل ان شاء الله .

هذا وقد رجى منا بعض الاصدقاء ان نلتزم الحياد بعدم التعليق على المقالات ، ولا يمكن ذلك ، أما أولا فان لنا كسائر « القراء » الحق في ابداء فكرنا ، واما ثانياً فلان التعليق خير وسيلة لاعطاء الكتاب الحرية المطلقة في نشر ما يكتبون مع المحافظة على خطة الاعتدال التي هي خطة المجلة ، ولعل أحسن دليل على أننا غير مخطئين أن كثيراً من الجرائد في الخارج أقتدت بنا في ذلك .